القصة الكاملة لفيلم الجزيرة الوثائقي «وراء الشمس» عن «التعذيب في مصر» واعتقالي من قبل قوات الامن (1):

لمست كراهية شديدة في وزارة الداخلية لمنظمات حقوق الإنسان.. وقد عبروا جميعهم عن استخفافهم بها

عاملوني بأدب جم في الوزارة وقال لي اللواء محمود الفيشاوي فاكرة إننا وحوش.. ما احنا زيكم برضه.. ناس!

هويدا طه *

لو أني كلبٌ.. لاعترتني حَمِيةٌ ..... لجَروي.. أن يلقى كما لقي الإنسُ

أبو العلاء المعري

الفردُ في بلادنا...
مواطنٌ.. أو سلطانْ
ليس لدينا إنسانْ

أحمد مطر

القضية رقم 11 حصر أمن دولة عليا

مقدمة لا بد منها

** لا مفر من كتابتها بضمير المتكلم.. تفاصيل تلك الأحداث.. التي أدت إلى منحي لقب (المتهمة) من قبل الدولة المصرية في (القضية رقم 11 لعام 2007 حَصر أمن دولة عليا) كما حدد رقمها وهويتها.. نص محضر إعلامي بالموعد الذي حددته النيابة لبدء التحقيق معي..

نعم.. أتحسس كثيرا من أن أصبح (أنا) محورا لتلك القصة.. ذلك أن ضمير المتكلم سيعني للوهلة الأولى أنني أروي (تجربتي).. تجربة خاصة.. ربما لا ينبغي أن أشغل بها الآخرين.. لكن.. وإن رويت تفاصيل ما دار معي بالذات في حدث بعينه...فإن كل متابع للشأن المصري سوف يدرك على الفور أنه لا القضية ولا الاتهام ولا التجربة وإن ارتبطت باسمي.. هي محنة (خاصة) بشخص المتكلم.. فعندما تقوم دولة تدعي أنها ديمقراطية بعملية (تفخيخ) لمواطن.. إما من باب الانتقام منه لأنه يمتلك (حلما آخر) غير الكابوس الدائم ليلا ونهارا على أرض.. تحكمها تلك الدولة ويهيم فيها ذلك المواطن.. أو من باب استغلاله كقربان.. للخروج من مأزق تعيشه هذه الدولة بسبب فساد القائمين عليها.. فإن الأمر لا يكون أبدا.. مجرد محنة خاصة، إنه هنا حلقة.. حلقة في سلسلة مواجهة بدأت في مصر منذ فترة.. بين دولة مستبدة.. ومواطن ـ أيا كان اسمه ـ لا يزيد حلمه عن مجرد التطلع لأن يحيا كما خلقه الله في البدء.. إنساناً.

** هكذا إذن.. فخت لي الدولة.. أو أمن الدولة.. أو بوليس الدولة.. لتقدمني قربانا لحل عقدتها المزمنة مع مواطنيها.. أما كيف فخخت فهذه هي القصة.. أو التجربة الخاصة.. أو قل.. المحنة العامة في مصر..

كيف بدأت فكرة فيلم «وراء الشمس»؟

** أعمل في قناة الجزيرة معدة ومنتجة للبرامج الوثائقية.. بدأت بوظائف صغيرة عند انطلاق القناة.. وعندما شرعت في إنتاج البرامج كانت لي في البدء سلسلة من البرامج القصيرة باسم (رقم وقضية)، وأخرى باسم (كُنْ معهم) تتناول نشاط بعض الجمعيات الأهلية في العالم العربي.. ثم شرعت في الإعداد لسلسلة أخرى مختلفة.. هي برامج وثائقية طويلة أو ما يسمى أحيانا أفلاماً تسجيلية.. وأحيانا أخرى تحقيقات صحافية. تتناول سلسلة التحقيقات الصحافية تلك قضايا (حقوق الإنسان العربي)، وقمت بترشيح أبرز قضايا حقوق الإنسان التي يرزح المواطن العربي تحت وطأة انتهاك الدول لها.. بطبيعة الحال رشحت عدة بلدان عربية ـ من بينها مصر طبعا ـ لعمل تلك التحقيقات بها، وبطبيعة الحال أيضا شرعت في الإعداد للحلقة الأولى عن مصر واخترت أبرز قضية حقوقية تغلي في مصر.. وهي ما تقول المنظمات الحقوقية المصرية (والدولية كذلك) إنه تفش لظاهرة تعذيب المواطنين ـ حتى الموت أحيانا ـ في أقسام الشرطة المصرية..

** الجزيرة وافقت على الفكرة مع الإلحاح المستمر الذي تمارسه على كل صحافي يعمل بها.. أن يلتزم بالقاعدة الذهبية للقناة وهي (الرأي والرأي الآخر) ، أحد عوامل نجاح تلك القناة هي أنها تترك للصحافي ـ خاصة في البرامج ـ حرية اختيار الأسلوب الذي يعالج به موضوعه (على أن) يلتزم بمعايير القناة الفنية ـ المتمثلة في جودة الصورة وغير ذلك من المعايير الفنية ـ والتحريرية المتمثلة في (التوازن وحضور الرأي والرأي الآخر).. دائما الرأي والرأي الآخر.. هاجس الجزيرة.

** بطبيعة الحال أيضا.. الموضوع الذي اخترته للحالة المصرية هو موضوع شائك.. موضوع يتعلق بمنظومة الأمن المعقدة في مصر.. موضوع يصعب على الأرض أو في الميدان التحقيق فيه صحافيا والقيام بعمليات تصوير وتسجيل.. دون أن تزمجر الدولة أو يكشر الأمن عن أنيابه، عادة تستخرج تصريحات التصوير الرسمية من هيئة تسمى (المركز الصحافي) تختص بمنح تصاريح التصوير للفضائيات غير المصرية، وتلك الهيئة هي التي استخرجت منها سابقا تصريح التصوير لبرنامج (كُنْ معهم) عندما أعددت حلقات عن جمعيات أهلية مصرية، وكنت عندما ذهبت لذلك المركز الصحافي ذات يوم لأسأل عن سبب تأخر التصريح قالت لي الموظفة إن التأخير يحدث بسبب أنهم (لا بد أن يحصلوا على موافقة وزارة الداخلية أولا) قبل منحي التصريح.. ولسبب ما.. اختزنت رد الموظفة هذا في نفسي..

بداية الاتصال بوزارة الداخلية

** بسبب هاجس (الرأي والرأي الآخر) قررت أن تحقيقا صحافيا حول الشرطة المصرية لا بد له من رد مسؤول أمني على شكاوى المواطنين.. لذلك قررت أن أطرح الموضوع برمته وبشكل مباشر على وزارة الداخلية.. آملة أن أجد من بينهم عاقلا يدرك أن ردهم ضروري في برنامج كهذا.. وقمت بتجهيز طرحي قبل أن التقي أول من التقيت منهم فيما بعد.. وللحق كنت صادقة تماما في هذا الطرح.. حيث قلت لهم (مش عايزة أعمل حاجة من ورا ظهر الأجهزة الأمنية).. في شهر تموز (يوليو) من العام الماضي بحثت عن أرقام هواتف مكتب وزير الداخلية حتى حصلت عليها.. وبالبحث المتواصل عرفت أول اسم من تلك الأسماء التي تعاونت معي منذ البدء قبل أن تنقلب علي وعلى الجزيرة وفيلمها.. قيل لي إن إدارة الإعلام والعلاقات العامة في وزارة الداخلية هي الجهة المختصة في الداخلية بالموافقة على التعاون في فيلم كهذا.. وهي جهة يترأسها اللواء/حمدي عبد الكريم.. الذي لم ألتق معه وجها لوجه حتى اللحظة منذ بدأت اتصالاتي مع تلك الإدارة.

** اززدت تفاؤلا بسبب اللهجة المهذبة الرقيقة.. التي كنت ألمسها في ردود من يجيبني في اتصالاتي التليفونية مع تلك الإدارة.. فلأني مصرية ومثلي كمثل كل المصريين.. نختزن في وعينا الباطن والظاهر صورة عن رجال الأمن الكبار.. يبدو فيها رجل الأمن مكشرا دائما متعاليا متغطرسا هازئا من الصحافة متحفزا لسحق كل منتسب لها.. قلت لنفسي ربما أدرك هؤلاء الناس أن العالم انفتح كثيرا عن ذي قبل.. وأن أسلوب التعالي الذي تمنحه لهم السلطة والسطوة لم يعد يجدي مع أبرز أذرع العولمة.. الصحافة.. صحيح أنهم طلبوا اسمي وهويتي والجهة التي أعمل هذا الفيلم لحسابها وظلوا لأكثر من أسبوعين يتعاملون معي هاتفيا حول ذلك الأمر دون أن أرى أيا منهم.. لكن ذلك كله اعتبرته سلوكا مشروعا من جهة أمنية وظيفتها في مثل هكذا حال.. أن تتيقن من الأمر.. وكان ذلك (الأدب الجم) الذي يردون به على اتصالاتي الهاتفية عاملا حاسما في نمو تفاؤلي بأنهم في طريقهم إلى الموافقة.. حتى ولو بشروط يمكن التفاوض معهم بشأنها..

** بعد الكثير من الاتصالات مع تلك الإدارة.. إدارة الإعلام والعلاقات العامة في وزارة الداخلية.. رد أحدهم أخيرا بأنهم عينوا من طرفهم ضابطا منسقا يعمل معي في هذا الأمر واسمه المقدم/طارق.. ولا أذكر باقي اسمه.. وأعطوني رقم تليفونه وبدأ الاتصال معه مباشرة منذ تلك اللحظة.. ولعدة أشهر..

بداية تعاون وزارة الداخلية في إنتاج الفيلم

** في تلك الأثناء نشر بالجرائد أن دورة حول حقوق الإنسان تنظمها وزارة الداخلية لضباط الشرطة تعقد في معهد تدريب الضباط سوف تنتهي يوم الخميس 13 تموز (يوليو)، فقلت للمقدم طارق أنني أريد تصويرها قبل انتهائها لاستعمالها في الفيلم ضمن المحور الخاص بإبراز دور الشرطة.. فليس الغرض من هذا الفيلم هو تشويه الشرطي المصري وإنما إلقاء الضوء على مشكلة تتحدث عنها كل قوى المجتمع.. وأن من المهم أن نعرض بالإضافة إلى رد الشرطة على ما تتهمها به المنظمات الحقوقية أن الشرطة نفسها.. مهتمة بتدريس ضباطها مادة حقوق الإنسان.. غاب المقدم طارق عدة أيام قبل أن يعود لي بموافقة إدارته على التصوير.. وبالفعل بذل جهدا كبيرا في التنسيق لدخول فريق التصوير إلى معهد الضباط في اليوم قبل الأخير من تلك الدورة..

** عندما ذهبنا إلى معهد تدريب الضباط كان في استقبالنا اللواء/ محمود شرف.. رئيس المعهد والذي كان وعدة رجال معه غاية في الأدب والرقة والكرم مع كل أعضاء فريق التصوير.. ورحنا نتحدث لأكثر من ساعة عن تلك القضية.. قضية إساءة ضباط الشرطة للمواطن.. وكانوا يردون ذلك الاتهام عن الشرطة ويحكون عن معاناة الشرطي نفسه التي لا يدري بها أحد.. كان حديثا وديا طلبت منهم تسجيله فرفضوا.. قالوا إن (التعليمات) التي جاءتهم جاءت فقط بتصوير ضباط الشرطة في قاعة الامتحان.. الامتحان الذي يؤدونه في نهاية دورة دُرست لهم فيها مواد تتعلق بحقوق الإنسان..

** صورنا الضباط وهم يؤدون الامتحان وكنت أقف في وسط القاعة أشير للمصور بأخذ هذه اللقطة أو تلك وكان يقف معي اللواء/ محمود شرف ويدور معي خطوة بخطوة، كانت القاعة في الدور الرابع تقريبا.. بعدها نزلنا إلى قاعة المكتبة وطلبت من اللواء محمود شرف أن نصور الضباط وهم في المكتبة فرفض، قال إن (التعليمات) أن نصور مكتبة حقوق الإنسان دون أن يظهر بها أي ضابط!.. دهشت لهذا الأمر وقلت للواء محمود شرف والمقدم طارق مازحة ـ وكان الجو بيننا وديا للغاية ـ (يعني نصور القاعة خالية من الضباط عشان نقول للناس إن المهم إن الداخلية عندها مكتبة لحقوق الإنسان بس مش مهم الضباط يقرأوها؟!) بالطبع ضحكوا وقالوا إن منظمات حقوق الإنسان تبالغ في اتهام الشرطة بانتهاك حقوق الإنسان.. وهي منظمات الله أعلم بتشتغل لحساب مين؟!

** ثم وفي نفس القاعة التي استقبلنا فيها في الدور الأرضي للمعهد.. سمحوا لنا بتسجيل لقاء مع السيد/ أشرف الدعدع وهو مندوب عن الأمم المتحدة وكان يدرس في تلك الدورة، وكذلك الدكتور أحمد شوقي أستاذ القانون الجنائي.. والذي قال في تسجيلنا معه إنه يلمس استجابة الضباط لما يطرحه عليهم من حلول تتعلق بإجراءات الضبط الجنائي ومعاملة المواطن متهما كان أو بريئا.. إلى آخره..

** في تلك القاعة كانت توجد صورة كبيرة للرئيس حسني مبارك، وعندما ظهرت الصورة خلف الأستاذ الذي كنت أسجل معه اللقاء.. أوقفنا اللواء/ محمود شرف وراح يقول بصوت عال: «الله الله.. قصدكم إيه بكده.. ده مش اتفاقنا.. لا لا لا..(التعليمات) إنك تسجلي بس مع الضيفين دول مش تصوري الريس والحاجات دي.. لا لا لا لا» أوقفنا التسجيل ورحت أقنعه: «اننا نضبط الصورة فنيا ليس إلا.. بحيث لا يكون الكادر مختل الأبعاد فيكون الضيف مثلا في نصف الشاشة ونصفها الآخر فارغا.. كما أن ظهور صورة الريس يدل فقط على أن التسجيل تم في مكان رسمي.. كما سجلنا مع السيد أشرف الدعدع ووراءه علم مصر.. وهذا لا يضير في شيء.. ثم يا سيادة اللواء إيه الغلط في ظهور صورة الريس؟! ده ريسنا كلنا!» عاد اللواء والمقدم وباقي الطاقم إلى الجلوس في مقاعدهم وعاد الجو الودي من جديد.. وتم التسجيل.. الجميع ينصت للأسئلة.. وينصت للأجوبة، والجميع رافقنا إلى الفناء الخارجي للمعهد لتسجيل آخر جزء وهو فقرة أقولها أمام الكاميرا لاستخدامها فيما بعد أثناء المونتاج في التمهيد لدخول المعهد..

** كنت قد أعددت مسبقا نصا قصيرا وحفظته.. وقفت بحيث تظهر ورائي في كادر الصورة يافطة المعهد.. وكلما بدأنا التسجيل نوقفه إما لأنني نسيت تعطيش حرف الجيم مثلا.. وهي من التقاليد الحازمة في قناة الجزيرة.. أو لأن ضابطا مر فظهر في الكادر.. وكان الجو حارا فقد كنا في شهر تموز (يوليو).. توقفت وسألت اللواء/ محمود شرف.. وماذا في الأمر يا سيادة اللواء إن مر ضابط في خلفية الصورة؟ فقال إن (التعليمات) جاءت بذلك! عدت لتسجيل الفقرة.. والتي لن استعملها لأنني اكتشفت أنني نسيت خلع نظارة الشمس السوداء أثناء تسجيلها! فقد كان الارتباك والإجهاد قد بدأ يظهر على وجوه الجميع.. اللواء والمقدم وباقي الضباط المرافقين وفريق التصوير..

** شكرت المقدم طارق للمجهود الكبير الذي بذله للتنسيق مع إدارته من أجل تصوير ذلك اليوم وسلم علينا اللواء/ محمود شرف بحرارة شديدة وانصرفنا..

الطريق إلى لاظوغلي

** بدأت بعد ذلك اليوم في التسجيل مع عدد من المواطنين داخل بيوتهم أو في مقرات المنظمات الحقوقية التي تتبنى قضاياهم المرفوعة في المحاكم ضد ضباط عذبوهم.. عرفت هؤلاء المواطنين عن طريق تلك المنظمات.. وهي كلها منظمات مرخصة وقانونية.. إحدى تلك الحالات كانت عن طريق (المنظمة المصرية لحقوق الإنسان).. والأخرى كانت عن طريق (مركز النديم لعلاج وتأهيل ضحايا التعذيب).. حكوا هم وأسرهم عما عانوه من قسوة ووحشية في التعامل ـ والتي سوف تعرفونها بالتفصيل عند عرض الفيلم ـ عاودت الاتصال بالمقدم طارق لينسق لنا التسجيل مع مسؤول أمني للرد على شكاوى المواطنين، فقال لي إن اللواء/ محمود الفيشاوي يريد مقابلتي في هذا الخصوص.. وحدد لي موعدا.. كانت المرة الأولى التي أدلف فيها إلى تلك المنطقة في وسط القاهرة.. التي يتجاور فيها كل من مبنى وزارة الداخلية ومبنى أمن الدولة.. لاظوغلي.. تلك المنطقة التي كلما قال مواطن مصري إنه في طريقه إليها.. يقول الآخرون.. يا ساتر..

** مثل من كانوا يردون على اتصالاتي الهاتفية الأولى في إدارة الإعلام والعلاقات العامة بوزارة الداخلية.. ومثل اللواء/ محمود شرف ومثل المقدم طارق.. استقبلني اللواء محمود الفيشاوي بذات الأدب الجم! ومع فناجين القهوة المتتالية رحنا نتناقش حول قضية قسوة ضباط الشرطة وانتهاكهم للقانون في تعاملهم مع المواطنين.. راح يعرض علي الشكاوى التي تصل إلى الداخلية من مواطنين.. وراح يظهر لي وثائق تبين أنهم يتابعونها وأن تلك التجاوزات من بعض الضباط (ما هي إلا تجاوزات فردية) وعرض أمامي عدة ملفات وحدثني عن بعض ضباط .. حوكموا وسجنوا بسبب تجاوزهم.. كان رقيقا للغاية.. وكان مهذبا كريما في التعامل.. وكان يسخر مازحا من اتهامات منظمات حقوق الإنسان للشرطة، والحق أنني لمست كراهية شديدة من كل من قابلتهم في وزارة الداخلية لمنظمات حقوق الإنسان المصرية.. عبروا جميعا عن كرهم لها واستخفافهم بها.. لكن بذات الأدب الجم! قلت له «يعني يا سيادة اللواء الشعب بيفتري على الحكومة مثلا؟!» فضحك وقال: «لأ مش الشعب اللي مفتري... المنظمات دي هي المفترية»! عدت وسألته: «متى سترشح لنا مسؤولا أمنيا يرد على شكاوى المواطنين من الشرطة»، فقال لي: «شكاوى إيه؟.. مش لما نشوفها عشان نعرف حنرد على إيه؟» قلت له: «لكن الناس دي لو جبت الشريط المسجل عليه شكاواهم ناس غلابة يا محمود بيه.. ممكن تؤذوهم مثلا لأنهم سجلوا معانا» فضحك وقال لي «ليه إنت فاكرة إننا وحوش.. ما احنا زيكم برضه.. ناس وعندنا بيوت وعيال.. لا لا لا .. متخافيش .. ده وعد مني أنا.. محدش ييجي جنبهم.. بس كمان لازم نعرف إيه الشكوى عشان اللي ارشحه للتسجيل معاك يكون عارف حيرد على إيه». بالطبع صدقته.. كيف لمثل من يتحدث بهذا الأدب الجم أن يتعامل مع هؤلاء الناس بعقلية القرون الوسطى.. كان لقاء وديا للغاية.. عدت بعده إلى مكتب قناة الجزيرة لأنسخ له نسخة من رواية الضحايا..

** في اليوم التالي عدت إليه بالشريط وأيضا كان لقاء طيبا.. وخرجت من عنده كي أنتظر اتصال المقدم طارق ليحدد لي موعد التسجيل واسم من رشحته إدارته للتسجيل معه كمسؤول أمني يرد على شكاوى الناس.. وكلما اتصلت به استحثه قائلة له إن موعد عودتي للدوحة يقترب وأريد عمل ترتيبات فريق التصوير اللازمة لذلك اللقاء المأمول.. يقول لي «والله لسه يا مدام هويدا مفيش رد.. مجرد ما يقولولي علطول حاتصل بيكي ونرتبها إنشاء الله»..

** ذات يوم اتصلت بالمقدم طارق.. كنا في بداية الأسبوع الأخير من شهر تموز (يوليو).. قلت له إن موعد عودتي يقترب وما زلت في انتظار مرشح إدارتكم للتسجيل معه.. فقال لي.. إنت إمتى حترجعي القاهرة تاني؟ قلت له ربما في كانون الثاني (يناير).. فقال لي: «أظن من الأفضل نؤجل حكاية مرشح الإدارة للرد لحين رجوعك مرة أخرى للقاهرة.. أصل بصراحة هم دلوقتي مشغولين في حركة التنقلات والترقيات ومحدش فايق يسجل معاك». قلت له: «طيب أسافر يعني واتصل بك قبل نزولي القاهرة في شهر كانون الثاني (يناير)؟» فرد بالإيجاب.. شكرته وأبلغته أنني سأسافر يوم 24 تموز (يوليو).. شكرته بصدق لأنه كان لطيفا متعاونا طوال ذلك الشهر الذي قضيته (رايحة جاية) على الداخلية ـ أو فخ الداخلية ـ التي كان يتحدث كل المتعاملين منها معي.. بأدب جم! أدب لم يألفه المواطن المصري من العسكر على مر القرون..

** سافرت إلى الدوحة ومعي تسجيلات دورة حقوق الإنسان في معهد تدريب الضباط ومعي تسجيلات المواطنين الذين أعطيت نسخة منها للواء/ محمود الفيشاوي (عشان يعرف هو حيرد على إيه) كما قال.. ولم ألق أية مشاكل أو متاعب في المطار.. وكانت هذه هي نهاية المرحلة الأولى من الإعداد للفيلم.. والتي تمت بتعاون كامل من وزارة الداخلية المصرية.. تعاون مثبت بالصوت والصورة..

الاتصال بالداخلية من الدوحة

** في الدوحة أنهيت إعداد برنامج الجمعيات الأهلية المصرية والقطرية.. ثم سافرت إلى المغرب وموريتانيا والبحرين ولبنان وعندما انتهيت من إعداد جميع حلقات ذلك البرنامج المسلسل القصير وبدأ بثه.. استخرجت شرائطي التي أعددتها بتعاون الداخلية وبدأت بوضع خطة العمل لذلك الفيلم وعرضتها على مدير إدارة البرامج في الجزيرة السيد عارف حجاوي الذي أقرها.. ونظر إلي.. ثم عبر عن إعجابه بهذا التطور في مصر.. الذي يجعل وزارة الداخلية المصرية تتعاون ـ بتلك الأريحية ـ مع الجزيرة في إنتاجها لهذا البرنامج! وأذكر أنه قال «دي مصر يا عم.. مصر.. مش حيالله بلد»! وذكرني أن أكتب في نهاية الحلقة بعد انتهاء المونتاج كلمة شكر للداخلية المصرية على تعاونها!

** عدت للاتصال بالمقدم طارق في مصر.. أبلغته بموعد سفري إلى القاهرة وقلت له أنني آمل أن يرتب لي اللقاء المتفق عليه منذ الصيف.. فقال لي: «الملف ده بقي عند العقيد/ علاء محمود.. لأن اللواء/ محمود الفيشاوي ترك هذا المكان.. ويا ريت بس يا مدام هويدا تبعتي فاكس بكتاب رسمي باسم اللواء/ حمدي عبد الكريم مدير إدارة الإعلام والعلاقات العامة بوزارة الداخلية توضحي فيه المطلوب بالضبط..» ثم أعطاني رقم الفاكس.. فقلت له: «طيب بعد إرساله سأتصل بك للتأكد أنه وصل»، بعد أن اتفقنا على هذا الأمر.. توجهت إلى مدير إدارة البرامج السيد/ عارف حجاوي وقلت له على ما دار بيني وبين المقدم طارق.. فكتب رسالة إلى اللواء/ حمدي عبد الكريم مدير إدارة الإعلام والعلاقات العامة بوزارة الداخلية المصرية.. كان الكتاب يوجه شكر قناة «الجزيرة» إلى السيد اللواء وإدارته على تعاونها (في المرحلة الأولى من إعداد البرنامج) ويعبر عن أمله أن تتعاون إدارته الكريمة في المرحلة الثانية مع السيدة/ هويدا طه معدة البرنامج، وكان الكتاب مختوما بخاتم الجزيرة وموقعا من مدير إدارة البرامج ومكتوبا على الأوراق الرسمية للقناة..

** قبل سفري كتبت على جهاز الكمبيوتر الخاص بي التصور المبدئي للبرنامج.. أعطيته اسم (وراء الشمس) لأن تلك العبارة هي عبارة مصرية شعبية شهيرة.. تقال عند وصف حال من يقع من أفراد الشعب في يد الأمن.. فنقول (راح ورا الشمس).. أعددت كذلك على الكمبيوتر المحمول الخاص بي هوية الشخصيات التي أنوي التسجيل معها.. وراعيت أن أضم فيها أسماء تعبر عن كافة أطياف المجتمع المدني المصري.. كانت خطة كتبتها في جدول وضعت فيه:(طبيب نفسي.. عالم اجتماع.. صحافي من المعارضة.. صحافي من المدافعين عن الحكومة.. حقوقي.. شرطي سابق.. محامون.. ناشط من ناشطي المدونات على الإنترنت.. عضو من مجلس الشعب.. قاض.. مواطنون عاديون) إضافة إلى (مسؤول أمني حالي) بحسب الاتفاق مع الداخلية المصرية، لم أحدد أسماء بعينها.. فقط وضعت إطارا عاما.. ليبدأ البحث عن الأسماء عند وصولي إلى مصر.. وفي مصر بدأت الجولة الشاقة للبحث عمن يوافق على التسجيل ومن تتفق ظروفه ومواعيد التصوير.. إلى غير ذلك من مشقة تجميع المادة المطلوبة قبل العودة إلى الدوحة وبدء جولة أخرى شاقة هي جولة المونتاج.. ، ولأن هذا الكمبيوتر المحمول هو ملكي الخاص وليس ملكا للقناة.. فقد كنت أحفظ عليه أيضا جميع مقالاتي التي نشرت في «القدس العربي» خلال السنتين أو الثلاث سنوات الماضية.. وعليه كذلك بدايات مشروعي الأول في عالم الرواية.. وعليه كذلك مواد بحثية تخص موضوعات عديدة تاريخية وأدبية وحقوقية وسياسية وفنية وأيضا تصورات مستقبلية لبرامج وأفلام أنوي العمل عليها وغير ذلك.. إضافة إلى أشياء خاصة كالرسائل المتبادلة بيني وبين أبنائي وزوجي.. وصور لأفراد أسرتي.. وأشياء من هذا القبيل.. سافرت إلى القاهرة حيث كان مكتب الجزيرة بالقاهرة قد استخرج لي التصريح الروتيني (بدخول خمسين شريطا خاما).. وصلت إلى القاهرة يوم 2006/12/7 وبدأت عملي مباشرة .. وكان أول عملي بالطبع هو الاتصال بالعقيد علاء محمود..

المرحلة الثانية من التعاون مع الداخلية

** بدوره حدد لي العقيد علاء محمود موعدا للقائه في لاظوغلي.. وعندما التقيته لم ينقص أبدا عن سابقيه ـ بل زاد ـ في التعامل بذات الأدب الجم إياه! كان يضع أمامه على مكتبه نسخة من الفاكس الذي أرسلته الجزيرة بتاريخ 2006/11/27 تشكر فيه الداخلية على تعاونها في المرحلة الأولى وترجو التعاون في المرحلة الثانية.. راح يناقشني في نقاط الفاكس ومن ضمنها أننا طلبنا السماح لنا بتصوير بعض أقسام الشرطة التي يرشحونها هم لنا.. وكان الهدف من ذلك هو عرض الضغط الذي يتعرض له ضابط الشرطة يوميا.. راح يناقشني في كل ذلك ثم قال لي: «إذا جاءت الموافقة من جهات أعلى سنرتب لك ما تريدينه.. بس تيجي الموافقة» فقلت له «طيب واللقاء مع المسؤول الأمني للرد على الشكاوى؟» فقال لي: «آه.. أنا سمعت عن الشريط اللي اعطيتيه للواء الفيشاوي بس الحقيقة مشفتهوش.. لكن انشاء الله لما تيجي الموافقة معنديش مشكلة.. وانا حاتصل بك قريبا أقولك عن موعد التصوير ومع من حيكون التسجيل»، خرجت من مكتب العقيد علاء محمود وكانت معي مساعدتي وأنا في انتظار اتصاله الذي وعد به..

** ظللت طوال الأيام التالية اتصل بالعقيد علاء محمود كل يوم تقريبا.. وفي كل اتصال أعتذر له عن إلحاحي المستمر عليه وأعبر له عن تقديري لحجم مشاغله ثم أطلب تحديدا لموعد التسجيل للقاء.. تمت الموافقة المبدئية عليه أصلا منذ الصيف الماضي.. وفي كل مرة يقول نفس العبارة: «أوعدك حاتصل بك».. وكانت هذه هي العبارة التي اسمعها منه في كل مرة..

هويدا طه

رفضوا صورة الريس في لقطة وقالوا الله الله.. قصدكم إيه بكده.. ده مش اتفاقنا.. لا لا لا..(التعليمات) إنك تسجلي بس مع الضيفين دول مش تصوري الريس والحاجات دي.. لا لا لا لا» فقلنا: سيادة اللواء إيه الغلط في ظهور صورة الريس؟! ده ريسنا كلنا!

* كاتبة وصحافية تعمل في قناة الجزيرة القطرية/ الدوحة.